

ظاهرة العنف والعلاج المتكامل

مسعود بوسعدية

جامعة جيجل- الجزائر.

تمهيد:

تواجه الجزائر تحديات عديدة؛ حالت دون التّهوض الحضاريّ المنشود، وأبرزها في وقتنا المعاصر: ظاهرة العنف التي كادت أن تأتي على كلّ أمل في البناء الحضاريّ، وجعلت البلاد ترجع القهقري؛ رغم ما تزخر به من مقومات وإمكانات كفيلة بالإقلاع الحضاريّ.

والعنف في حدّ ذاته؛ أنواع متعدّدة، ومستويات كثيرة، وما يهّمنا في هذا البحث هو العنف المنسوب إلى الإسلام ظلما وزورا وجهلا.

إنّ المتنبّع لظاهرة العنف في الجزائر سيدرك منذ الوهلة الأولى أنّها ليست حالات منعزلة، أو خاصّة، أو فردية، أو مؤقتة، ولكّنها مشكلة ظهرت وتكرّرت عبر مراحل وفترات متقطّعة وخاصّة في الثمانينات والتسعينات.

إنّ الكثير من النّاس والجماعات يتّبعون في نشر أفكارهم وعلاج مشكلاتهم أسلوب قابيل؛ حيث قال لأخيه: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾¹.

وهذا الأسلوب إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على مرض سلوكيّ خطير؛ وذلك أن صاحب هذا الأسلوب لو كان سويا ولديه الحجّة العلميّة والمقدرة الفكرية؛ لما لجأ إليه.

إنّ اتّباع مثل هذه الأساليب المتشعبة بروح العنف سيّجلب - وقد جلب - الكثير من الآثار التدميرية على البلاد والعباد ويزداد الأمر سوءا؛ عندما ينسب هذا الأسلوب إلى الإسلام من طرف بعض الأدعياء رغم أنّ الإسلام دين سلام ومحبة وأخوة، ويكفي أن تحية الإسلام "السلام عليكم" تتضمّن معنى السلام والأمان.

أولا: مفهوم العنف:

أ - في اللغة: جاء في لسان العرب:

عنف: العنف: الخرق بالأمر وقلة الرّفق به، وهو ضد الرّفق.

عنف به وعليه يعتف عنفا وعنافة وعنفه تعنيفا، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره. واعتنف الأمر: أخذه بعنف. وفي الحديث: "إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"؛ هو بالضّم الشدة والمشقة.

والتعنيف: التعبير واللوم... والتوبيخ والتقريع.ⁱⁱ

وجاء في المنجد في اللغة والأعلام:

العُنْفُ والعُنْفُ والعُنْفُ: ضد الرفق، الشدة والقساوة.

الجنس العنيف: كناية عن الرجال يقابله الجنس اللطيف كناية عن النساء.ⁱⁱⁱ

وجاء في معجم مقاييس اللغة:

عنف: العين والتّون والفاء أصل صحيح يدلّ على خلاف الرفق.

قال الخليل: العنف ضدّ الرفق، تقول: عَنّف يعتف عنفا فهو عنيف إذا لم يرفق في أمره أعنفته أنا، ويقال: اعتنفت الشيء إذا كرهته ووجدت له عنفا عليك ومشقة.

ومن باب التعنيف، وهو التشديد في اللوم.^{iv}

والخلاصة أن معنى العنف في اللغة يشمل ما يأتي:

الكرهية، التعبير، اللوم، التوبيخ، التقريع، الشدة، والقساوة.

تعريف العنف:

هو تلك المحاولات الفردية أو الجمعية الظاهرة أو الكامنة الهادفة إلى تغيير الواقع

باستخدام الإكراه المادي أو المعنوي

ثانيا: تاريخ ظاهرة العنف:

كثير من الباحثين يرجعون البدايات الأولى للعنف إلى ابني آدم؛ عندما قتل قابيل أخاه هابيل، ولكن في الحقيقة البدايات الأولى ترجع إلى إبليس عندما استكبر ومارس العنف المعنوي تجاه آدم؛ حيث احتقره وادعى الأفضلية عليه، ثم توعد بني آدم بالغواية والتي من مظاهرها الإفساد في الأرض وممارسة العنف.

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ

ظاهرة العنف والعلاج المتكامل

بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83) ^v

وبعد بداية الصراع والعداوة بين آدم وإبليس؛ انتقل الصراع هذه المرة إلى ابني آدم؛ حيث اتبع قابيل مع أخيه هابيل أسلوب ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾؛ ونفذ وعيده فكانت أول جريمة قتل فوق الأرض.

قال الله تعالى: ﴿وَأْتَلُوعَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31)﴾. ^{vi}

ومن خلال التمعن في الأحداث نجد أن قابيل كانت لديه منذ البداية القابلية لاستخدام العنف، واستغل عدم قبول قربانه لتجسيد هذه القابلية على عكس ذلك نجد عند هابيل انعدام هذه القابلية، ولهذا استسلم لأخيه.

إن العنف الكامن ظاهر في أسلوب قابيل: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، ومنعدم في أسلوب هابيل: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، وذلك على النحو الآتي:

هابيل	قابيل	
أمر الأب (آدم) بالزواج بأخت قابيل.	أمر الأب (آدم) بالزواج بأخت هابيل.	البداية
طاعة الأب.	عصيان الأب.	النتيجة
مبدأ وجوب طاعة الوالدين فيما لا معصية فيه لله تعالى.	أخته أجمل.	السبب

مسعود يوسف

المخرج	أمر الأب بتقديم قربان.	أمر الأب بتقديم قربان.
تقديم القربان	أردل زرع.	أحسن كبش.
النتيجة	عدم تقبل القربان.	تقبل القربان.
الأسلوب	لأقتلنك.	ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك.
السبب	الحقد وعدم الخوف من الله.	الخوف من الله.
المحصلة	التنفيذ.	الاستسلام.
النتيجة الدنيوية	الخسران + الندم.	الاستشهاد.
النتيجة الآخرة	النار (إذا شاء الله).	الجنة (إذا شاء الله).
الاستنتاج	وجود القابلية لاستخدام العنف.	انعدام القابلية لاستخدام العنف.

ثالثاً: - أسباب العنف:

إن أسباب العنف كثيرة ومتشعبة ومتداخلة، ولكن من خلال التمعن فيها يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسيين:

- الأسباب الفكرية، وهي الأسباب الأساسية لظاهرة العنف.
 - الأسباب التبعية، وهي الأسباب المتفرعة عن الأسباب الفكرية، والأسباب التبعية كان دورها تفعيل ظاهرة العنف الموجود أصلاً عن طريق الأسباب الفكرية.
- إن الأسباب الفكرية هي الأسباب الرئيسة لظاهرة العنف، ولولاها لما وُجد العنف؛ لأن الفكرة تسبق الفعل، وبالتالي فالأسباب الأخرى متفرعة عنها.

يقول عبد الحميد بن باديس: (سلوك الإنسان في الحياة مرتبط بتفكيره ارتباطاً وثيقاً، يستقيم باستقامته ويعوج باعوجاجه، ويثمر بأثماره، ويعقم بعقمه، لأن أفعاله ناشئة عن اعتقاداته، وأقواله إعراب عن تلك الاعتقادات، واعتقاداته ثمرة إدراكه الحاصل عن تفكيره ونظره)^{vii}.

ظاهرة العنف والعلاج المتكامل

وكمثال على ذلك: زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن؛ الذي ينسب إليه العنف في جميع أرجاء العالم هو من عائلة ثرية جدا، والشيء نفسه بالنسبة لزعماء بعض التنظيمات التي تتبنى العنف في الجزائر، كزعيم الجماعة الإسلامية المسلحة جمال زيتوني؛ الذي كان تاجرا معروفا في منطقة بئر خادم بالعاصمة.

ويمكن إدراج ضمن الأسباب الفكرية الأسباب الآتية:

أ - الفهم الخاطئ للدين:

إن الجهل البسيط لا يؤدي إلى العنف، ولكن الفهم الخاطئ للدين المبني على الجزئيات أو المتشابهات أو الظنون؛ هو الذي يفضي إلى العنف، وخاصة إذا أضيف إلى ذلك الجهل بمقاصد الشريعة، وطرق الترجيح بين المسائل المختلفة^{viii}.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فاستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"^{ix}.

إن الفهم الخاطئ لبعض المصطلحات الدينية الحمالة الأوجه مثل: الجهاد والولاء والبراء والسمع والطاعة وغير ذلك؛ يؤدي إلى فهم مشوش للدين؛ مما ينجر عنه إصدار بعض الأحكام الخطيرة.

ومن الأمثلة على ذلك: المفهوم الخاطئ للجاهلية؛ فالبعض يعتقد أن الجاهلية مساوية للكفر، وما دامت المجتمعات اليوم تسودها الجاهلية، فهي مجتمعات مرتدة، وبالتالي تطبق عليها أحكام الردة والكفر.

إن العلماء اتفقوا على أن الجاهلية تنقسم إلى قسمين:

1 - جاهلية كبرى تخرج عن الملة، وهي جاهلية الاعتقاد، ولا بد أن تتوفر الشروط وتنتفي الموانع.

2 - جاهلية صغرى لا تخرج عن الملة، وهي جاهلية المعاصي^x.

ب - التعامل المباشر مع النصوص والفهم الظاهري لها:

إن الوقوف على ظاهر النص دون الرجوع إلى أقوال أهل العلم؛ يؤدي إلى الانحراف العلمي ثم الانحراف العملي؛ ذلك أن فهم النص الشرعي يحتاج إلى علوم شتى وخاصة علمي اللغة العربية ومقاصد الشريعة.

يقول ابن تيمية: " ولا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه؛ فمعرفة العربية التي حُوطبنا بها مما يعين على تفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك ^{xii}."

إن الصحابة - رضوان الله عليهم - رغم قرب عهدهم بالإسلام وتلقيهم عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة إلا أنهم يقعون أحياناً في بعض الإشكالات في فهم بعض النصوص؛ فكانوا يرجعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويسألونه عن ذلك..

عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - قال: لما نزلت " **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** " (الأنعام 82) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أين لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: " يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم " (لقمان: 13) ^{xiii}."

ومن بين الأمثلة على الفهم الظاهري للنصوص: تكفير الحكام اعتماداً على الآية: ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَخُضْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^{xiii}.

والشيء المعروف في العقيدة أن الكفر نوعان: أكبر وأصغر؛ فالأكبر هو التكذيب بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو المخرج عن الملة، والأصغر هو الذنوب والمعاصي وهو غير مخرج عن الملة.

ولهذا قال ابن عباس في الآية السابقة: " ليس بالكفر الذي تذهبون إليه " ^{xiv}.

ج - الإعراض عن العلماء:

لقد أمرنا الله تعالى بالرجوع إلى العلماء لمعرفة أحكام الإسلام؛ فقال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^{xv}، كما جعل النبي صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة

ظاهرة العنف والعلاج المتكامل

الأنبياء في حمل رسالة الإسلام وتبليغها، فقال عليه الصلاة والسلام " إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"^{xvi}.

إن الإعراض عن العلماء دفع بالشباب إلى التلذذ على الكتب، والأخذ من الجهال، والإفتاء بغير أهلية، فنتج عن ذلك فهم سقيم، وخلق ضيع، وخاصة عدم احترام الأساتذة والعلماء والتكبر عليهم.

ولا يفوتنا أن ننبه أن بعض العلماء يتحملون المسؤولية الكبيرة في إعراض الشباب عنهم، وذلك للأسباب الآتية:

- 1 - عدم تجسيدهم لتعاليم الإسلام في أنفسهم وأسرهم.
- 2 - تكبرهم على الشباب وعدم الأخذ بأيديهم، وتعليمهم، وفتح باب الحوار معهم.
- 3 - تزكيتهم لجميع القرارات التي تصدرها الأنظمة حتى ولو كانت مخالفة لتعاليم الإسلام.

ومن أمثلة ذلك، يقول يوسف القرضاوي: " دُعي أحد العلماء اللامعين إلى ندوة تلفزيونية في أحد الأقطار، تدور المناقشة فيها حول موضوع (تحديد النسل) في نظر الشريعة الإسلامية، وكانت دهشة الرجل المكلف بإدارة الندوة بالغة حين قال له هذا العالم: هل تهدف الندوة إلى تأييد التحديد أو معارضته حتى أهني نفسي؟! "^{xvii}.

وحق لا يعرض الشباب عن العلماء لأبد عليهم من تبليغ العلم بأمانة وإخلاص، وأن يطبقوه في أنفسهم أولا.

يقول عبد الحميد بن باديس: (العلم أمانة عند العلماء، وهم مكلفون بأدائها لمستحقها، وليس العلم ملكا لهم يستغلونه فيكتمونه إن رأوا الكتمان أوفق بمصالحهم الشخصية وينشرون منه ما لا يصادم أهواء العامة، بل يزيدهم جاها لديهم، ولا أبخس صفقة ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة)^{xviii}.

د - عدم الجمع بين الأدلة ومعرفة الراجح منها:

إن الاختصار على بعض الأدلة دون أخرى في المسألة الواحدة يعتبر من أهم أسباب الانحراف الفكري؛ لأنه يؤدي إلى نظرة ناقصة للحكم وبالتالي الوقوع في الخطأ. يقول ابن تيمية: "والمقصود هنا ما ذكر أصل جامع تبني عليه معرفة النصوص، ورد ما تنازع فيه الناس إلى الكتاب والسنة، فإن الناس أكثر نزاعهم في مواضع في مسعى الإيمان والإسلام لكثرة ذكرهما، وكثرة كلام الناس فيهما، والاسم كلما كثر التكلم فيه، فتكلم به مطلقاً ومقيداً بقيد، ومقيداً بقيد آخر في موضع آخر؛ كان هذا سبباً لاشتباه بعض معناه... فمن اتبع علمه حتى عرف مواقع الاستعمال عامة، وعلم مأخذ الشبه أعطى كل ذي حق حقه".

ومن الأمثلة الواقعية ادعاء بعض الشباب أن لبس الثوب إذا زاد عن الكعبين فهو حرام، واستدلوا بحديث صحيح هو: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار"^{xix}. ومثل هذا الحديث المطلق نجده قيداً بأحاديث أخرى تحصر الوعيد فيمن فعل ذلك تكبراً وخيلاً، فعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأذني هاتين يقول: "من جر إزاره، لا يريد بذلك إلا المخيلة، فإن الله لا ينظر إليه يوم القيامة"^{xx}. وفي رواية أخرى يرخص النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر لانتفاء قيد التكبر، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من جر ثوبه خيلاً لم ينظر الله إليه يوم القيامة، قال أبو بكر: يا رسول الله، إن أحد شقي إزاري يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لست ممن يصنعه خيلاً"^{xxi}.

يقول ابن حجر: (استدل بالتقييد في هذه الأحاديث بالخيلاء على أن الإطلاق في الزجر الوارد في ذم الإسبال محمول على المقيد هنا، فلا يحرم الجر والإسبال إذا سلم من الخيلاء)^{xxii}.

وتأصيلاً لما سبق، يقول عبد الحميد بن باديس: (كل ما دل على فرد أو فردين أو أفراد على سبيل الشيوع بدون قيد فهو المطلق، سواء كان اسماً أو فعلاً فيحمل على إطلاقه، حتى يأتي ما يقيد، وكل ما دل على ما ذكر بقيد فهو المقيد، ويجب اعتبار قيده)^{xxiii}.

هـ - عدم الإمام بمقاصد الشريعة:

ظاهرة العنف والعلاج المتكامل

(مقاصد الشريعة: هي المعاني والأهداف الملحوظة للشرع في جميع أحكامه أو معظمها، أو هي الغاية من الشريعة، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها)^{xxiv}.
إن معرفة المقاصد أمر لازم لخاصة الناس وعامتهم؛ فبواسطتها تفهم النصوص، وكيفية تنزيلها على الوقائع المختلفة، كما تساعد على فهم روح الشريعة وأهدافها، إضافة إلى الحاجة الماسة إليها في التوفيق بين الأدلة المتعارضة^{xxv}.

إن الجهل بالمقاصد يؤدي إلى الجمود الفكري، والإتيان بالغرائب من الفتاوى، وينتج عن هذا وذاك التشدد الذي قد يصل إلى الممارسة الفعلية للعنف. يضاف إلى ذلك أن المقاصد تجعلنا نوازن بين المصالح والمفاسد؛ فلا تدفع مفسدة بأخرى أكبر منها.
يقول ابن تيمية: " لا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بتحصيل أعظم الضررين؛ فإن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومطلوبها ترجيح خير الخيرين إذا لم يمكن أن يجتمعا جميعا، ودفع شر الشرين إذا لم يندفعا جميعا"^{xxvi}.

و - عدم فقه سنن التغيير:

إن تغيير الواقع لن يكون بين عشية وضحاها، أو بالخوارق، بل لابد من مراعاة السنن التي جعلها الله تعالى في الحياة، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾^{xxvii}.

وتمتاز هذه السنن باستمرارها وعدم تبدلها مصداقا لقوله تعالى: ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾^{xxviii}.

ومن بين هذه السنن سنة التدرج؛ فقد بدأ الإسلام بتغيير ما بالأنفس، بالتركيز على التوحيد وترسيخ العقيدة الإسلامية، ثم جاء تشريع الفرائض شيئا فشيئا مراعيًا الوقائع واستعداد الناس.

وفي هذا المضمار تقول عائشة رضي الله عنها: " إنما نزل أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار؛ حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنا لقالوا لا ندع الزنى أبدا...^{xxix}.

وفي ميدان الدعوة: فإن الناس تنفر من العنيف مهما كان إخلاصه ومنزلته.

يقول عبد الكريم زيدان: " مضت سنة الله في أحوال الناس واجتماعهم وفي إقبالهم على الشخص واجتماعهم وقبولهم منه وسماعهم قوله وأنسهم به... أن الناس ينفضون عن اللفظ الغليظ حتى ولو كان ناصحا لهم مريدا للخير لهم حريصا على ما ينفعهم، وقد دل على ما قلناه قول الله جل جلاله: ﴿ قِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهْمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾^{xxx} .

وفي المقابل، فإن الله تعالى يعطي على اللين ما لا يعطي على الشدة، كما أن الناس تميل إلى اللين وتبغض العنيف، وفي هذا المعنى يقول عبد الكريم زيدان مؤصلا هذه السنة: (سنة الله في الرفق وأهله أنه يعطيهم ما لا يعطي إلى العنف وأهله، فمن يرزق الرفق يرزق أسباب الخير، ومن يحرمه يحرم أسباب الخير، فقد جاء في الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه قوله صلى الله عليه وسلم: " من يحرم الرفق يحرم الخير^{xxxii} " .

ولقد جاء بيان هذه السنة واضحا في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم لزوجته عائشة قائلا: " يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق، وهو يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه^{xxxiii} " .

ز - عدم فعالية المؤسسات الدينية:

إن أغلب المؤسسات الدينية لا تقوم بدورها المنوط بها، وذلك ابتداء من المسجد ومرورا بالمجالس العلمية ووصولاً إلى وزارة الشؤون الدينية؛ حيث لم تكن هناك تربية وقائية من ظواهر العنف، كما أنها التزمت الصمت في البدايات الأولى له، ويرجع عدم فعالية المؤسسات الدينية ونفور الناس منها وعدم الثقة بها إلى إسناد المناصب إلى غير أهلها.

وهذا الأمر وإن كان يشمل أغلب القطاعات الأخرى؛ إلا أن ضرره أكبر على مستوى القطاع الديني، ولهذا جعل الإسلام إسناد المناصب إلى غير الأكفاء من علامات الساعة. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة ؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث. فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا

ظاهرة العنف والعلاج المتكامل

قضى حديثه قال: أين أراه السائل عن الساعة ؟ قال: ها أنا يا رسول الله. قال: " فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ". قال: كيف إضاعتها ؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة ^{xxxiv}.

رابعاً: - علاج العنف:

ما دامت مسببات العنف متنوعة ومتداخلة؛ فإن العلاج كذلك؛ لذا ينبغي أن لا يقتصر العلاج على ميدان واحد، أو أسلوب محدد، وإنما لابد من إتباع خطة شاملة متكاملة لعلاج هذه الظاهرة.

ويمكن توضيح أهم مجالات العلاج فيما يأتي:

أولاً: العلاج الفكري

إن العلاج الفكري هو العلاج الأساسي؛ الذي ينبغي أن تركز عليه الاهتمامات، وتنصب حوله الجهود؛ لأن العنف قبل أن يكون سلوكاً كان فكرة، والفكرة تقابل بالفكرة.

ويمكن توضيح العلاج الفكري فيما يأتي:

1 - الحوار الهادف:

إن الحوار الهادف والمناقشة الجادة والمناظرة العلمية؛ كفيلة برد الممارسين للعنف إلى صوابهم، وذلك لسببين:

1 - أن الحوار يزيل الجهل المركب الذي بسببه يُمارس العنف.

2 - أن الحوار يدفع بعض الشبهات التي تدفع البعض إلى ممارسة العنف.

وهذان السببان يدفعان إلى مراجعة المواقف والتفكير في العواقب؛ مما يؤدي إلى التخلي عن العنف.

ومن أحسن النماذج التي وقفت عليها في الحوار محاوره ابن عباس للخوارج. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: " ولما اجتمعت الحرورية يخرجون على علي قال: جعل يأتيه الرجل فيقول: يا أمير المؤمنين القوم خارجون عليك. قال: دعوهم حتى يخرجوا.

فلما كان ذات يوم قلت: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة فلا تفتني حتى آتي القوم.

قال: فدخل عليهم وهم قائلون فإذا هم مسهمة وجوههم من السهر؛ وقد أثر السجود في جباههم كأن أيديهم ثفن الإبل، عليهم قمص مرحضة.

فقالوا: ما جاء بك يا ابن عباس؟ وما هذه الحلة عليك؟

قال: قلت: ما تحبون مني؟ فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من ثياب اليمنية. قال: ثم قرأت هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^{xxxv}.

فقالوا: ما جاء بك؟

فقال: جئتمكم من عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله؛ جئت لأبلغكم عنهم، وأبلغهم عنكم.

قال بعضهم: لا تخاصموا قريشا فإن الله يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^{xxxvi}. فقال بعضهم: بلى، فلنكلمنه.

قال: فكلمني منهم رجلا أو ثلاثة.

قال: قلت: ماذا نقتم عليه؟

قالوا: ثلاثا. فقلت: ما هن؟

قالوا: حَكَمَ الرجال في أمر الله، وقال الله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^{xxxvii}.

قال: قلت: هذه واحدة، وماذا أيضا؟

قالوا: فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم. فلئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم ولئن كانوا كافرين لقد حل قتالهم وسبيهم.

قال: قلت: وماذا أيضا؟

قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين؛ فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال: قلت: رأيتمكم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ما ينقض قولكم هذا أترجعون؟

قالوا: وما لنا لا نرجع؟

ظاهرة العنف والعلاج المتكامل

قال: قلت: أما حكم الرجال في أمر الله، فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^{xxxviii}.

وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾^{xxxix}.

فصير الله ذلك إلى حكم الرجال. فنشدتكم الله. أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وإصلاح ذات بينهم أفضل أو في حكم أرنب ثمنه ربع درهم، وفي بضع امرأة؟ قالوا: بلى هذا أفضل.

قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

قال: فأما قولكم: قاتل، فلم يسب ولم يغنم، أَقْتَسَبُونَ أَمْكُمْ عَائِشَةَ؟ فإن قلتم نسبها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم ليست بأمتنا فقد كفرتم؛ فأنتم ترددون بين ضاللتين. أخرجت من هذه؟ قالوا: بلى.

قال: وأما قولكم محا نفسه من إمرة المؤمنين؛ فأنا آتيكم بمن ترضون: إن نبي الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو: ما نعلم أنك رسول الله، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم تعلم أني رسولك، أمح يا علي واكتب: هذا ما اصطاح عليه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو. قال: فرجع منهم ألفان، وبقي بقيتهم؛ فخرجوا فقتلوا أجمعين".^{xl}

من خلال هذا النموذج يمكن تحديد بعض الأطر المنهجية في الحوار البناء، وهي كالآتي:^{xli}

1 - حسن اختيار القائمين بالحوار: كتشكيل لجنة من العلماء والدعاة.

وفي هذا النموذج وقع اختيار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على ابن عباس ترجمان القرآن وحبر الأمة.

2 - تحديد المرجعية المتفق عليها: وهي الكتاب والسنة كما جاء في النموذج.

3 - الانطلاق مع الخصم من النقاط المتفق عليها.

4 - حسن الاستماع للخصم وعدم مقاطعته.

5 - التعرف على الحجج التي يركز عليها الخصم.

6 - الرد على الحجج ودحض الشبهات.

7 - احترام رأي الخصم والابتعاد عن التجريح.

8 - التحلي بالصبر وسعة النفس والهدوء.

9 - عدم التفاعل السلبي مع استفزازات الخصم.

10 - الانطلاق من مقدمات تخ دم النتيجة المرجوة.

وينبغي الإشارة إلى أن الحوار لابد أن يفتح لعامة الناس وخاصة الشباب؛ الذين لابد من الإنصات إليهم، وتشجيعهم على إبداء آرائهم مهما كانت.

إن الشيء الملاحظ على أغلب الملتقيات؛ هو دعوة طبقة معينة إليهم من المثقفين والأساتذة، وبالتالي لا يتحقق الهدف المرجو منها.

2 - إزالة الظلم:

إن بعض الناس تعرضوا لشتى أنواع الظلم؛ ولم يجدوا من ينصت إليهم ويعمل جاهدا لإزالتها؛ وهذا ما يدفعهم إلى نزع الثقة ومحاولة الانتقام، والرغبة الجامحة في هلاك الدولة، بل قد يصل الأمر إلى معاونة الأعداء على ذلك.

يقول عبد الكريم زيدان: (إذا استمر الظلم وانتشر وشاع بفعل الدولة أو بتسترها عليه وعدم منعها له وتغافلها عنه؛ فإن الأمر يؤول بالناس المظلومين والمنتصرين لهم من أقارب وأصدقاء إلى معاونة الأعداء على تهديم الدولة التي صارت في نظرهم عدوا لهم)^{xlii}.

ظاهرة العنف والعلاج المتكامل

ولذا حث النبي عليه السلام على نصرة المسلم؛ سواء بمنعه من الظلم أو تمكينه من حقه.

عن جابر قال: اقتتل غلامان؛ غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار؛ فنادى المهاجر أو المهاجرون: ياللمهاجرين، ونادى الأنصاري: يالأنصار! فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ما هذا؟ دعوى أهل الجاهلية؟!"

قالوا: لا يا رسول الله! إلا أن غلامين اقتتلا فكسح أحدهما الآخر، قال: "فلا بأس، ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً؛ إن كان ظالماً فلينبهه، فإنه له نصر؛ وإن كان مظلوماً فلينبصره"^{xliviii}

3- تصحيح الأفكار الخاطئة:

لقد انتشرت في أوساط الناس بعض الأفكار الخاطئة عن الدين الإسلامي، وعن الواقع، مما أوقعهم في الجهل المركب الذي نتج عنه تبني العنف فكراً ثم ممارسة، ومن هذه الأفكار الخاطئة ما يأتي:

1 - تكفير الحكام والمجتمعات.

2 - تحريم المشاركة السياسية.

3 - تغيير الواقع لا يكون إلا بالقوة.

4 - عدم العذر بالجهل مطلقاً.

ومن أسباب تبني هذه الأفكار وغيرها ما يأتي:

1 - التتلمذ على الكتب.

2 - سوء فهم بعض المصطلحات الشرعية.

3 - التلقين الخاطئ.

4 - الإسقاط الخاطئ للنصوص الشرعية.

ولهذا ينبغي تصحيح وتقويم الأفكار المنحرفة من طرف العلماء المختصين عن طريق الاتصال المباشر أو غير المباشر.

4- ضبط مفهوم الألفاظ والمصطلحات الشرعية:

إن فهم الإسلام فهما صحيحا؛ يتوقف على ضبط المفاهيم؛ سواء من الناحية الشرعية أو الناحية الاصطلاحية، وذلك يحتاج إلى إتباع منهج علمي؛ يقوم على القواعد الشرعية وفهم عميق للواقع، ومراعاة لفقه الأولويات.

يقول ابن تيمية: "ولا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه؛ فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب؛ فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك^{xliv}"

إن وضع موسوعة إسلامية خاصة بالألفاظ والمصطلحات من طرف العلماء المختصين من شأنه أن يضبط المفاهيم ضبطا سليما، وخاصة إذا اعتمدت في جميع البلاد الإسلامية.

5- إقامة الندوات والملتقيات والدورات العلمية:

إن طبيعة العصر، والتغيرات السريعة، والمستجدات الحاصلة، تقتضي تنظيم الملتقيات الفكرية، وإقامة الندوات الثقافية، وتكثيف الدورات العلمية في مختلف المجالات وخاصة ما يتعلق بفقه الواقع، وفقه النوازل، وهذا من شأنه تأهيل الدعاة، وتزويد الشباب بالمعلومات الصحيحة، وإشباع حاجاتهم الدينية من المصادر الموثوقة.

6- تفعيل الخطاب الإسلامي:

إن الخطاب الإسلامي عموما والخطاب المسجدي خصوصا في حاجة إلى تطوير، وتجديد؛ لتخليصه من النمطية والحفظ والتكرار، وجعله مرنا ومسيرا للعصر مع التركيز على الجانب الأخلاقي، وإظهار سماحة الإسلام.

إن أهمية الخطاب المسجدي تبرز لكونه موجها إلى كافة أفراد المجتمع، وبالتالي اتساع مجال تأثيره. والملاحظ على الخطاب المسجدي اليوم أن أغلبه غارق في الماضوية، سطحي في الطرح، بعيد عن الواقع؛ مما جعل النفور منه أكثر من الجاذبية إليه.

ظاهرة العنف والعلاج المتكامل

ولهذا لا بد من إعادة تأهيل الخطباء، وفتح المجال لخريجي الجامعات الإسلامية مع وضع برنامج للتكوين والتدريب المستمرين، إضافة إلى ضرورة استعمال الوسائل الحديثة في الجانبين الإعدادي والاتصالي.

أما باقي مجالات الخطاب الإسلامي الأخرى سواء المسموع أو المقروء أو المنظور؛ فالشيء نفسه ينطبق عليها.

7- الرقابة العلمية على المراجع:

وذلك بتكوين لجنة علمية متخصصة تعكف على دراسة بعض الكتب، والرسائل، والمقالات، والأشرطة؛ التي تدعو إلى العنف والتطرف، بل وتؤصل له، وأيضا بعض الفتاوى الخاطئة، أو الخاصة بفترة من الفترات، وفي ضوء ذلك يتم الرد العلمي عليها أو بمنعها من التداول.

ومن أمثلة ذلك: كتاب الفريضة الغائبة؛ الذي ألفه المهندس عبد السلام فرج أحد القياديين في جماعة الجهاد في مصر؛ حيث اعتبر أن قتال الحكام المعاصرين هو الفريضة الغائبة التي يجب إحيائها.^{xlv}

8- مراعاة سنن الله الكونية والشرعية:

لقد جعل الله تعالى للكون سننا من سار وفقها وصل إلى الغاية، ومن جانبها ابتعد عن الهدف؛ فالمتعجلون الذين يريدون تغيير الواقع بين عشية وضحاها يصطدمون بالعقبات والمعوقات مما يدفعهم إلى العنف، لهذا لا بد من تبيان هذه السنن حتى يكون الناس على بصيرة.

ومن بين هذه السنن مثلا: " تغيير ما بالأنفس طريقة لتغيير المجتمع "

يقول مالك بن نبي: (وأول ما يجب أن نعرفه عن شعب حديث اليقظة؛ لا تزال آثار النوم الطويل باقية عليه هو: هل لديه أسباب تقدمه ؟ إننا نجد في القرآن الكريم النص المبدئي للتاريخ التكويني (Bio Histoire)

" إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (الرعد 13 / 11)، وينبغي ألا نقرر هذا المبدأ حسب إيماننا به فقط، بل يجب أن يكون تقريره في ضوء التاريخ).^{xlvi}

9- معرفة طرق دلالة النص على المعاني والأحكام:^{xlvii}

إن ضبط منهج استنباط الأحكام من النصوص؛ من شأنه غلق الأبواب أمام الممارسين للعنف في استدلالهم الخاطئ واستنباطهم الشاذ.

وقد قسم الأصوليون هذا الموضوع إلى قسمين:

(الأول: دلالة النص على المعنى، وتتوقف فيه معرفة الحكم الشرعي على إفادة المعنى.

وهذا يشمل بحث الخاص والعام والمشتك والحقيقة والمجاز وغيرها...

الثاني: دلالة النص على الحكم الشرعي مباشرة، وذلك يشمل لفظ الأمر من حيث إنه يفيد الوجوب، ولفظ النهي من حيث إنه يوجب الحرمة).^{xlvi}

10- العلم بمقاصد الشريعة:

فالشريعة وضعت لتحقيق مصالح الناس ودفع المفساد عنهم عاجلا وأجلا، ولا ينبغي لذي عقل أن يسعى لإزالة مفسدة لتحل محلها مفسدة أعظم منها، ولا شك أن ممارسة العنف بدعوى تحقيق مصالح وهمية؛ ينتج عنه ما لا يحصى من المفساد.

(إن معرفة مقاصد الشريعة، ورعايتها ورعاية رتب المصالح والمفاسد، مانع من موانع الغلو والانحراف؛ إذ كان الجهل بتلك المقاصد سائقا إلى الغلو، كما وقع المتشددون على أنفسهم في الغلو؛ لجهلهم بأن اليسر ورفع الحرج من مقاصد الشارع الحكيم)^{xlvi}

ثانيا: العلاج التربوي:

يمكن توضيح العلاج التربوي فيما يأتي:

1- غرس الأخلاق الإيجابية: إن طبيعة الحياة الدنيا؛ تقتضي أن يمر الإنسان ببعض الفترات الصعبة والمشكلات العويصة، وإذا لم يكن محصنا بالأخلاق الإيجابية كالصبر والثقة بالله تعالى، والأمل؛ فإنه سيقع ضحية للأخلاق السلبية كاليأس وحب الانتقام والعنف، وهناك نصوص كثيرة تصنع التفاؤل وتبعث الأمل في النفوس، وفي المقابل تنزع اليأس والإحباط.

قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ⁱ. وقال تعالى أيضا: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ⁱⁱ.

وقال كذلك: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)﴾ⁱⁱⁱ

ظاهرة العنف والعلاج المتكامل

وفي السنة النبوية؛ نجد حرص النبي صلى الله عليه وسلم الدائم على بعث التفاؤل وخاصة في المواقف الحرجة؛ فقد شكّا خباب بن الارت - رضي الله عنه - إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما يتعرض له المؤمنون من الشدائد؛ فقال: " ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا ؟ " قال: "كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه؛ فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت؛ لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون" ^{liii}.

3- تفعيل دور الأسرة:

تعتبر الأسرة أهم مؤسسة تربية؛ لأن فيها يكون التكوين الأولي للناشئة، ولذا فدورها خطير للغاية؛ إذ لا يقتصر على توفير المأكل والمشرب والمسكن فقط؛ لأن الأطفال ليسوا حيوانات حتى يقتصر في رعايتهم على هذا؛ ولذا ينبغي العناية بالرعاية الشاملة لهم جسمياً ومعرفياً ووجدانياً ومهارتياً.

لقد أكدت الأبحاث والدراسات وجود علاقة قوية بين قسوة العقاب الأسري وممارسة العنف، فقد أشار ERON (1971) إلى أنه بقدر ما تكون العقوبات متشددة في الأسرة؛ بقدر ما يكون العدوان أعلى عند الأطفال، وفي دراسة قام بها climent (1973) وبعض الباحثين على 158 سجيناً؛ وجدوا خمس عوامل غير طبية لها علاقة بالعنف من أهمها العقاب الأبوي المتشدد، بل إن حتى علماء النفس الحيواني أوضحوا أن إحداث الألم الكبير على الحيوانات مثل الثعابين والفئران وبعض أنواع السمك؛ من شأنه أن يحدث هجومات خطيرة. ^{liv}

ويمكن توضيح دور الأسرة في علاج العنف فيما يأتي:

أ- تربية الأطفال على المبادئ الإسلامية منذ الصغر كالقيام بالعبادات والتحلي بالأخلاق الحسنة مثل التسامح.

ب- تشجيع الحوار داخل الأسرة واستبعاد أي نموذج عدواني.

ج- تشجيع الأطفال وتدريبهم على حل مشكلاتهم بالطرق السلمية، وتعزيز هذا السلوك الإيجابي معنويا وماديا.

د- عدم معاقبة الأولاد قبل عشر سنوات مهما فعلوا، ثم التدرج في تأديبهم بعد ذلك؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم منع ضرب الأولاد قبل هذه السن على الصلاة؛ رغم منزلتها العظيمة في الإسلام، فمن باب أولى ألا يضربوا على غيرها.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: " مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرة وفرقوا بينهم في المضاجع".^{lv}

هـ- التربية بالقدوة الحسنة؛ حيث تكون التصرفات العلمية ترجمة للتوجيهات النظرية. و- العدل بين الأولاد وعدم تفضيل أحدهم على الآخر في المعاملة والعطايا؛ بل حتى من ناحية الاستقبال.

ز- التدخل عند كل حالة عدوان، وعلاجها بالحسنى مع إظهار التعاطف مع الضحية.

ح- مراقبة لعب الأطفال، واستبعاد العنيفة منها.

سادسا: العلاج الإعلامي:

يمكن توضيح العلاج الإعلامي فيما يأتي:

- 1- ترشيد الإعلام؛ وذلك بوضع سياسة إعلامية تحترم القيم الإسلامية.
- 2- الاهتمام بالبرامج الدينية كما وكيفا، وبأسلوب جذاب ومناسب لعموم الناس.
- 3- منع البرامج التي تستفز مشاعر المسلمين، وخاصة في جهاز الرائي والصحف.
- 4- التقليل ما أمكن من البرامج التي تتضمن العنف بمختلف أشكاله، أو على الأقل التعليق عليها من طرف الوالدين مثلا أو من محللين؛ حيث يتم توضيح مخاطر العنف مع إبداء التعاطف مع ضحاياها.
- وفي هذا المضمار يقول فاضل حنا: " إن تعليق الآباء يمكن أن يحول المشاهد المثيرة من خلال التفسير إلى ما يعزز فكرة العدالة أو كراهية العدوان، أو تكوين اتجاهات إيجابية نحو النظام الاجتماعي المتمثل بالشرطي والبطل اللذين يصدان العدوان".^{lvi}
- 5- ضبط الإعلانات التجارية؛ حيث أن الإشهار المتكرر للسلع وبطريقة مبالغ فيها؛ تدفع الأسر إلى حب الاقتناء والتقليد، ولكن مع ضعف القدرة الشرائية واستحالة تحقيق كل

ظاهرة العنف والعلاج المتكامل

ذلك؛ فإن ذلك يثير الحرمان والشعور بالنقص مما يولد الإحباط والحقد وربما حتى العنف.^{lvii}

6- الالتزام بالموضوعية، والابتعاد عن تهويل الأمور.

7- الابتعاد عن السخرية بالدين وبالمتدينين؛ كما يحصل في بعض الجرائد من خلال بعض الرسومات الساخرة.

8- تسجيل وعرض اعترافات التائبين وإرفاقها بتعقيبات المحللين والمختصين.

9- تقديم البرامج التي ترسخ التعاليم الإسلامية كالانصاف بالأخلاق الحسنة، والالتزام بالفرائض مثل الحفاظ على الصلوات، وفي المقابل استبعاد البرامج المليئة بالمخالفات الشرعية.

إن الشيء المؤسف أن مختلف البرامج وخاصة الأفلام والمسلسلات؛ تصور الحياة اليومية للناس بكل تفاصيلها إلا ما يتعلق بالجانب التعبدية؛ حيث نلمس إغفالا رهيبا له، ويمكن توضيح هذا الأمر من خلال الجدول الآتي:

بعض اللقطات المشاهدة	بعض المخالفات الشرعية والقيم الغائبة
1 - الاستيقاظ من النوم	- تضيق صلاة الفجر. - غياب أذكار الاستيقاظ من النوم
2 - ارتداء الملابس.	- غياب الذكر الخاص بالملابس. - تشجيع التبرج وعدم تربية البنات على الحجاب.
3 - تناول فطور الصباح.	- غياب أذكار الطعام.
4 - الخروج من البيت والوصول إلى مكان العمل.	- غياب أذكار الخروج من المنزل. - التأخر عن الوقت الرسمي. - عدم إلقاء التحية الإسلامية على الزملاء في العمل.
5 - القيام بالأعمال المنزلية.	- إزعاج الجيران نتيجة الضوضاء.
6 - الزيارات.	- غير مناسبة ولا هادفة.
7 - التطرق لبعض المشكلات اليومية.	- التركيز على الماديات والتعلق المفرط

بالدنيا.	
8 - المحادثات المختلفة.	- الغيبة والنميمة واللمز والتنازع بالألقاب.
9 - السهرات.	- الرقص المختلط والغناء الماكن.

بعض الملاحظات المنهجية على فيلم " الإرهابي "

- من البرامج التي تطرقت لموضوع العنف؛ فيلم " الإرهابي "، وقد أتيح لي مشاهدته من خلال قرص مضغوط، وأهم الملحوظات التي خرجت بها هي كالآتي:
1. الإطناب في تصوير المرض.
 2. عدم تقديم العلاج الآني ولا الوقائي.
 3. تقديم المتدينين بأسلوب ساخر واستفزازي.
 4. عدم توضيح الأسباب الحقيقية للعنف.
 5. الاستهزاء ببعض مبادئ الدين الإسلامي، مثل السخرية من عذاب القبر.
 6. مخالفة تعاليم الإسلام، ويظهر ذلك من خلال:

- إقامة الحفلات الماكنة.
- شرب الخمر.
- الرقص المختلط والغناء الماكن.
- التبرج الفاضح لبعض النساء.
- الإشادة بالملحدين من خلال تعليق صورهم.
- تشجيع الفكر العلماني.
- تضبيب الفرائض الدينية كالصلوات الخمس.

ثامنا: العلاج الأمني

إن ظاهرة العنف متعددة الأبعاد؛ وبالتالي فالالاقتصار في علاجها على الجانب الأمني، وإن كان يحجمها أحيانا؛ لكنه لن ينجح في علاجها التام؛ بل هناك حالات ازدادت فيها درجة العنف بسبب التوسع في ملاحقة الناس وتعذيبهم لمجرد شك سيء بهم، أو لقراءة أو صداقة سابقة بمن يمارس العنف. ويضاف إلى ذلك أن المعالجة الأمنية قد

ظاهرة العنف والعلاج المتكامل

تكسر وتنشر حالات العداء والحقد بين أفراد المجتمع، كما أنها تلحق الأذى بالأبرياء كالأطفال والنساء.

ولذا؛ فنجاح العلاج الأمني يتوقف على توفر الشروط الآتية:

- 1 - أن يكون بالقدر المعتدل الذي يحقق الغرض.
- 2 - أن يكون آخر أنواع العلاج ثم بالموازاة معها.
- 3 - أن لا يؤخذ أحد بجريرة أحد، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْزِرْ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ۖ﴾^{lviii}. وقال صلى الله عليه وسلم: " لا يؤخذ الرجل بجناية أبيه ولا بجناية أخيه"^{lix}.
- 4 - التثبت في إلحاق التهم بالناس، فلا يتهم شخص إلا ببينة. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۖ﴾^{lx}.
- 5 - الاختيار النوعي لرجال الأمن القائمين على ملف العنف، وذلك من حيث المستوى المقبول والمعاملة اللائقة.

الهوامش:

- ¹ - المائدة: 27 / 05
- ² - المائدة: 08 / 05
- ³ - ابن منظور: لسان العرب، ج 10، ط 3، دار صادر، بيروت، 2004، ص 303، 304.
- ⁴ - المنجد في اللغة والأعلام، ط 38، دار المشرق، بيروت، 2000 م، ص 533.
- ⁵ - ص: 71/38 - 83.
- ⁶ - المائدة: 31-27 / 05.
- ⁷ - رواه البخاري: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم؟ رقم (100)، (258/2 فتح).
- ⁸ - ينظر: محمد عبد الحكيم حامد: ظاهرة الغلو في الدين، مصدر سابق، ص 333، 334.
- ⁹ - ابن تيمية: الفتاوى، ج 7، مرجع سابق، 116.
- ¹ - رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، رقم (124)، ص 72.
- ² - المائدة: 44/4.
- ³ - أخرجه الحاكم في مستدركه، (342/2).
- ⁴ - الأئبياء: 07/21.
- ⁵ - رواه الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (2682)، ص 434.
- ⁶ - يوسف القرضاوي: مرجع سابق، ص 92.
- ⁷ - عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ط 1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1403هـ - 1983م، ص 195.
- ⁸ - رواه البخاري: كتاب اللباس، باب ما أسفل الكعيعين فهو في النار، رقم (5787)، (315/13 فتح).
- ⁹ - رواه مسلم: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم الثوب خيلاء، وبيان حد ما يجوز إرخاؤه إليه وما يستحب، رقم (2085)، ص 931.
- ²⁰ - رواه البخاري: كتاب اللباس، باب من جر إزاره من غير خيلاء، رقم (5784)، (312/13 فتح).
- ²¹ - ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 10، ط 4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2003 م، ص 323.
- ²² - عبد الحميد بن باديس: مبادئ الأصول، تحقيق عمار طالبي، (د. ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 42، 43.
- ²³ - وهبة الزحيلي: أصول الفقه الإسلامي، ج 2، (د. ط)، دار الفكر، الجزائر، 1992، ص 1017.
- ²⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ص 1017.
- ²⁵ - ابن تيمية: الفتاوى، ج 23، مرجع سابق، ص 343.
- ²⁶ - آل عمران: 137/02.
- ²⁷ - فاطر: 43-42/35.
- ²⁸ - رواه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم (4993)، (46/11 فتح).
- ²⁹ - آل عمران: 159/02.

ظاهرة العنف والعلاج المتكامل

- ³⁰ - عبد الكريم زيدان: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ط 3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1419 هـ- 1998م، ص 282.
- ³¹ - رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم (2592)، ص 1124.
- ³² - رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم (2593)، ص 1124.
- ³³ - الأعراف: 32/07
- ³⁴ - الزخرف: 58/43
- ³⁵ - يوسف: 40/12
- ³⁶ - المائدة: 95/05
- ³⁷ - النساء: 35/04
- ³⁹ - ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ج 2، ط 5، دار بن الجوزي، السعودية، 1422 هـ، رقم (1834)، ص 964.
- ⁴⁰ - ينظر: علي محمد محمد الصلابي: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، (د. ط)، دار الإيمان، الإسكندرية، مصر، 2003، ص 642-643.
- ⁴¹ - عبد الكريم زيدان: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية. مرجع سابق، ص 125
- ⁴² - رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً. رقم (2584)، ص 1121.
- ⁴³ - ابن تيمية: الفتاوى، ج 7، مصدر سابق، ص 116.
- ⁴⁴ - مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ط 4، دار الفكر، دمشق، سورية، 1987م، ص 54.
- ⁴⁵ - ينظر وهبة الزحيلي: أصول الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص 197.
- ⁴⁶ - المرجع نفسه، ص 198.
- ⁴⁷ - عبد الرحمن بن معلا اللويحي: مشكلة الغلو في الدين، مصدر سابق، ص 917.
- ⁴⁸ - البقرة: 216 / 2
- ⁴⁹ - النساء: 19 / 04
- ⁵⁰ - الشرح: 94 / 5، 6
- ⁵¹ - رواه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام. رقم (3612)، (196/2).
- ⁵² - ينظر: بوطاف علي: قساوة العقاب الأسري والجناح. عروض الأيام الوطنية الثالثة لعلم النفس وعلوم التربية، موضوع " علم النفس وقضايا المجتمع الحديث "، ج 1، (د. ط)، منشورات جامعة الجزائر، 1998، ص 388 - 389.
- ⁵³ - رواه أحمد: المسند، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، رقم (6689)، ص 480.
- ⁵⁴ - سورة البقرة: 256 / 02
- ⁵⁵ - سورة يونس: 99 / 10
- ⁵⁶ - ينظر: سالم الهنساوي: التطرف والإرهاب في المنظور الإسلامي والدولي، مرجع سابق، ص 256.

مسعود يوسف

- ⁵⁷ - فاضل حنا: التلفزيون ماله وما عليه، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1422هـ- 2002م، ص 66.
- ⁵⁸ - الأنعام: 06 / 164.
- ⁵⁹ - رواه النسائي: كتاب تحريم الدم، باب تحريم القتل، رقم (4126)، ص 432.
- ⁶⁰ - الحجرات: 49

